مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

الحرية في شعر ابن مقبل

رحمة احمد محمد

جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية / موصل – العراق

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2025/3/24

تاريخ المراجعة : 2025/4/22

تاريخ القبول : 2025/4/28

تاريخ النشر : 2025/9/1

الكلمات المفتاحية :

الحرية ، ابن مقبل، البيئة البدوية، تجليات الحياة البدوية ، الادب الاسلامي, الشعر.

معلومات الاتصال

رحمة احمد محمد

rahma.ali@uomosul.edu.iq

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الحرية في شعر ابن مقبل، وهو أحد الشعراء المخضرمين، فقد عاش زمنين مختلفين، وعمر مئة وعشرين سنة.

إن البيئة البدوية تمد الشاعر بالحرية، لما فيها من امتداد واسع، وحرية في التنقل دون قيد. فقد حوى شعر ابن مقبل نصوصاً كثيرة ومتنوعة عن الحرية بصفة عامة، لذا جاء هذا البحث لدراسة ابعاد الحرية في مضامين شعر ابن مقبل من خلال النصوص الشعرية وبيان أبعادها الفنية، والكشف عن الدلالات التي نتجت عنها.

قام البحث على مبحث واحد، تضمن ملخص البحث ومدخل، وترجمة للشاعر، وتعريف للحرية، وتحليل الأبيات الشعرية المتضمنة معاني الحرية.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

Freedom in the poetry of Ibn Muqbil

Rahma Ahmad Mohamad
University of Mosul / College of Education for Human Sciences/ Department of Arabic Language / Mosul - Iraq

Article information

Received : 24/3/2025
Revised 22/4/2025
Accepted : 28/4/2025
Published 1/9/2025

Keywords:

freedom, Ibn Muqbil, Bedouin environment, manifestations of Bedouin life, Islamic literature, poetry.

Correspondence:
Rahma Ahmad Mohamad
rahma.ali@uomosul.edu.iq

Abstract

This research deals with the phenomenon of freedom in the poetry of Ibn Muqbel, one of the veteran poets, where two times lived differently, at the age of one hundred and twenty years.

The Bedouin environment provides the poet with freedom, and freedom to move without restriction. Idn Muqbils poetry contained many and varied texts about freedom in general, so this research came to study the manifestation of freedom in Ibn Muqbils poetry through poetic texts and a statement of their most distant artistic, and revealing the implications that resulted from it.

The research was based no one topic, which included a research summary and an introduction, a translation of the poet, a definition of freedom, and an analysis of poetic verses that contain the meanings of freedom.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المقدمة:

أن العرب يعشقون الحرية، فالحياة في البادية فيها حرية كبيرة، فيفضلها البدوي على أي حياة مدنية أخرى. ويعد ابن مقبل أحد أفراد البادية الذين يحبون الحرية والتمتع بها. ومن هنا جاء هذا البحث لدراسة تجليات الحرية في شعر ابن مقبل.

وقد اعتمد البحث على ديوان ابن مقبل بتحقيق عزة حسن، لاختيار النماذج الشعرية التي تبرز معاني الحرية بشكل جلي، حيث درست معاني الحرية وفق الموضوعات الآتية من خلالها عبر الشاعر عن الحرية التي يستمدها من نمط الحياة البدوية:

أولا: ترجمة للشاعر

ثانياً: تعريف الحرية

ثالثاً: الحرية بوصفها رمزاً

رابعاً: امتداد المكان وذكره نمط من الحرية

خامساً: ذكر الأديان في شعره

وهناك دراسة جادة ومميزة لشعر ابن مقبل، وهي دراسة الباحث الدكتور عبد الله الفيفي بعنوان (شعر ابن مقبل قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي دراسة تحليلية نقدية)، وإن دراستنا الحرية في شعر ابن مقبل قد أفادت من دراسة الفيفي.

أولاً: ترجمة للشاعر:

هو "تميم بن أبيّ بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة، من بني العجلان"(الكلبي، 359،1986) وبنو العجلان "بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة، من قبائل قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"(البغدادي،1998 ، 231) وهو أحد الشعراء المخضرمين،(ابن منظور ، 1414 ، 185) فهو" من أبناء الجيل الذي شهد تلك النقلة العظيمة بين حياتين مختلفتين تمام الاختلاف، عاش شطراً من حياته قبل الاسلام في بيئة بدوية تعلم من بيئتها القاسية قيمه البدوية ومفاهيمه الاجتماعية وأغلب معارفه وعاداته وتقاليده، ثم أدرك الإسلام وعرف مبادئ الحق والخير، فكان يمثل حلقة الوصل بين الحياتين" (عبد الأمير، 1985، 6). فان ابن مقبل ولد في الجاهلية، وأسلم مع من أسلم من قبيلته (سزكين ، 1991، م2 ج2/ 242)، وهو من المعمرين، عاش مائة وعشرين سنة، عمر طويلاً في الجاهلية، ثم أدرك الإسلام (العسقلاني ، 1962، 1/ 496)، وعاش طويلاً في الإسلام كذلك.

ولابن مقبل مكانة اجتماعية وفنية ليس لهُ منافس فيها في قبيلته، فيرتبط اسم قبيلة ابن مقبل (بني العجلان) باسمه (القيرواني ، 1981، 1 / 76)، فسموا احياناً (رهط ابن مقبل)، وذلك لشهرته بينهم. ولابن مقبل الشاعر مكانة عالية في ميدان الشعر في الإسلام، و" للقدماء، من نقاد وسواهم، وقفات متعددة على شعره في مختلف العصور، تمثل تاريخ تلقّي ديوانه" (الفيفي ، 1999 ، 2/ 823)، يقول الأصمعي: "العظماء من شعراء العرب في الإسلام أربعة: راعي الأبل النميري، وتميم بن مقبل العجلاني، وابن أحمر الباهلي، وحميد الهلالي" (الهلالي ، 1951 ، ص و– ز). وعند الرجوع الى ابن سلام فقد عده في الطبقة الخامسة من الفحول.

استمد ابن مقبل حريته من طبيعة البيئة التي نشأ فيها وهي البيئة البدوية، ومن قوة قومه ومكانتهم بين القبائل، فجاء شعره محتفياً بهم وبمكانتهم.

ثانياً: تعريف الحرية:

مثلت الحرية هاجساً لدى الإنسان، وهدفاً يراد نيله دوماً، فاراد الوصول إليها دائماً ، فمنذ أن خلق المرء وهو يفكر في كيانه ووجوده في الحياة وحريته، فلولا الحرية لبقي الإنسان في سبات عميق لَم يكتشف ذاته وكيانهُ ووجودهُ (أبو شهاب، 2004، 9). إذ ذكرت المعاجم اللغوية تحت مادة ((حرر)) أن من معانيها "الحُر بالضم: خلاف العبد"(الجوهري ، 978 ، 627)، وهو ما خالف العبودية وبرئ من العيب والنقص، يقال: هو حر بين الحرورية والحرية (أبو الحسين ، 1979 ، 6). فنجد أن لفظة الحر في أغلب المعاجم هو نقيض العبد وما خالف العبودية، وهذا المعنى نجده في المعاجم الحديثة كذلك (مصطفى، وآخرون ، 187).

فالحرية في بُعدها الفكري هي إطلاقُ العنان للعقل الإنساني في التفكر والنظر في المسائل الوجودية الكبرى كالزمن ونوائبهُ وجدلية الحياة والموت، إذ يتجلى مفهوم الحرية في بعدها الفكري بأنها السيادة الذاتية وإزالة المعوقات التي تقف أمام إرادة الفرد مهما كان نوع هذه المعوقات وتعني أيضاً مقاومة الطبيعة الفكرية (أبو شهاب، 2004، 11).

إن البداوة ليست مرادفة للحرية في المعجم والقاموس. لكن إذا نظرنا إليها بوصفها رمزا، أو فكرة مجردة في الذهن، ولاسيما في ذهن الأدباء والشعراء والمؤرخين العرب، فإننا مضطرون إلى الاعتراف بأنها كانت تجسيدا لما يتطلع إليه الانسان من سعة في العيش وفسحة في التصرف (العروي، 2012 ، 24–25).

ثالثاً: الحرية بوصفها رمزاً:

ان الحرية عند ابن مقبل حضور قوي في شعره ، يتجلى بمستويات متعددة، فنراها أحيانا تصريحاً بأهمية الحرية وأساليب ممارستها ، وأحياناً بالاشارة أو بالترميز أو بالتعبير باللوحة او بالصورة، أو بأنماط جديدة من التعبير. يقول ابن مقبل: (ابن مقبل، 1962، 78) البسيط"

نَحْنُ المُقِيمُـون، لَمْ تَبْـرَح ظَعَـائِنُنَا، لا نَسْتَجَـيرُ، ومَـنْ يَحْـلُلْ بِـنَـا يُجَرِ"

فابن مقبل هنا يلوح بامتلاك زمامَ الحرية والتنعم بها، فيذكرها في إطار الـ(نحنُ) اشارة إلى أن امتلاك ناصية القرار لكي يكون من ثمار الحرية فلا بد أن يكونَ في إطار الجماعة البدوية الـ(نحن)، كما أنهُ يبتدئ بالاداة (نحن) في تشكيل جملة إسمية تدل على الثبوت والدوام، في الماضي وفي المستقبل البعيد، والخبر فيها مفرد معرفة (المقيمون)، وهذا ما أعطى استغراقاً في جنس الإقامة، منفتحا على كل ما يمكن تأويلهَ من الإقامة (المقيمون بعز– المقيمون بشرف– المقيمون دائما– المقيمون السعداء– المقيمون رغما عن الأعداء، ... إلخ).

ثم يأتي بعدها بجملة مؤكدة، فعلية، فعلها مضارع ناقص منفي بأداة النفي والجزم والقلب (لم تبرح)، وجاء بالفاعل فيه التفات إلى المرأة التي رمز لها (بالضعينة)، واستعمل صيغة الجمع المسندة إلى (نا) المتكلمين – ظَعَـائِنُنَا– ، وهذا بمجمله حقق جملة أمور ، فمن جهة قطع بالفعل وجزم به، وأرجعهُ إلى الماضي ليمدَ البعدَ في عمق تاريخ الـ(نحن)، وليجعلهُ متجدداً على الدوام بدلالة الجملة الفعلية، كما انّ الالتفات إلى المرأة، والترميز دون التصريح فيه إشارةَ إلى رسوخ الحرية عند قبيلته ، فهم متمكنون منها تمامَ التمكن، إذ تَنعم االنسوة، وهنَ بيضةُ القوم، بالحرية الكاملة، حتى وهنّ ضعائن، خارج بيوتهنّ، متأهبات للرحيل، في إشارة إلى أنهنّ في الحقيقة في بيوتهنّ في أي مكان خارج بيوتهنّ، وفي حال الترحال كما في حال الحلّ.

ثم تأتي المقابلة بين حال الـ(نحن) والـ(آخر) في إطار نظام الإجارة – اللجوء – الذي يعدّ من أبرز الممارسات الحرة للسيادة : (لا نستجير) في مقابل (من يحلل بنا يُجر)، الكلام والقرار والرأي ما زال للـ(نحن): (لا نستجير)، والسين الداخلة على الفعل، تدل على طلب الفعل وتشير إلى أنهم متفقون على عدم التفكير في الجوار حتى على مستوى طلبه، في حين أن الآخر، فرداً كان أو جماعةً – من يحلل بنا–، فإنهُ يحلُّ بقومه، محفوظة كرامتهُ، فهوَ لا يستجير، والقوم لمّ يحوجوهُ حتى إلى الإفصاح عن طلبه، وفي الوقت ذاته فان الإجارةَ يُمكن أن تاتيه من أي فرد منّ أفراد قبيلتهُ، دلّ على ذلك الفعل المضارع المبني للمجهول – يُجر– ، في إشارة إلى أن الجميع يتمتع بحق الإجارة وحريةَ استعماله.

رابعاً: امتداد المكان وذكره نمط من الحرية:

ولعل صور تجليات الحرية في شعر ابن مقبل هو إلحاحهُ المستمر على ذكر المكان وتوتراتهُ، وإلحاحهُ على تنوعه وامتداده، وان كان هذا الأمر يعكسُ في صورته الظاهرة ضَخَامة قبيلته واتساعُ موطنها ونفوذها، فإن من دلالاته الابعد هو ذلك الاحتفاءُ بما يهبهُ هذا المكان منّ فضاء واسع للتمتع بالحرية التيّ يمارسُها الشاعر ويسعى إليها، وقد جاءَ في شعره ذكر لأسماءَ العديد منَ الديار، وديوانهُ زاخرٌ بذكر الاماكن المختلفة، فموطنهم فيه العديد من الجبال منها – بَدْوَة – و– الجَناح ، ومن هضابهم (مَرانة)، ومن الأودية (

أُسُن) و(الرَّكاء)، ومن مياههم (أُنُس) و(الدَّحول)، ومن المواضعّ (القَعَاقِع)، وغيرها الكثير من المواضعّ والأماكن الموجود في شعره (الفيفي، 1999 ، 81- 90)، فيقول مفتخراً بسعة موطنه: (ابن مقبل 1962 ، ، 25) الكامل"

مَـا بَيْنَ حِمْصَ وَحضْرَمَوْتَ نَحُـوطُـهُ بِسـيُـوفِـنَـا مِـنْ مَـنْـهَـلٍ وتُـرَابِ

فِي كُلِّ ذلِـكَ يا كُـبَـيْشَ بُـيـُوتـُنَـا حـلَـقُ الـحُـلُولِ ثَـوَابـتَ الأَطْنَـابِ[1]

آطـامُ طِـيـنٍ شَـيـّـتَدَتْـهـَا فَـارِسٌ عِـنْـدَ الـسّـيُـوُحِ رَوَافِـدٍ وقِـبَـابِ[2]

فالشاعر يفخر بصفةَ يندرُ وجودها بينَ القبائل الاخرى، وهي سعةُ الموطن الذي يتفانون جميعاً في الحفاظ عليه على الرغمّ من تباعده ، فالمسافة شاسعةٌ رُبما شملت الجزيرة العربية جميعا (عبد الامير، 1962، 138)، فالشاعر في هذه الأبيات يعبرُ عن حريته الواسعة التي يستمدُها منّ بداوته فيقول : نحن نحمي المياه والأرضينّ ما بين حمص، وحضرموت ، ونحفظها لأنفسنا، وهي مكانٌ واسع جدا، يمتد على بلدان عديدةٌ (ابن مقبل، 1962، 25). فهو هنا حرٌ ينتقل في هذه الأرض الواسعة، وهو حرّ في اختيار المكان، إن شاء أقام، وإن شاءَ ارتحل، فكل الديار دياره .

وقد اختار ابن مقبل مدينتين مشهودٍ لهُما بعراقتهما وحضارتُهما وتطورهُما، وهما حمص في اعالي الشمال في بلاد الشام، وحضرموت في اقاصي الجنوب في بلاد اليَمن، فلم يَغفل، وهو البدوي، من ان يَفتخر برموز الحضارة التي تَقف كبوابتّين عظيمتيّن تشهد بأهمية عالمه البدوي المؤمن والمحروس بينهما.

وبيئته البدوية هذه تمتلك مقومات الحضارة التي كنى عنها بـ (منهل) كما أنه تمتلك مقومات البداوة التي كنى عنها بـ(تراب)، وجعلهما متكاملين ضروريينّ لقيام الحياة الكَريمة، التي لم تتجاوز مقوماً آخر لتقوم به وهو البطولة والعزَة، فكنى عنها بالجملة الفعلية التي تَدل على الحدوث والتجدد – نحوطه بسيوفنا–. ويفخر في البيت الثاني بموطنه الواسع، الذي يتسع لبيوت عديدة، لكنها على الرغم من كثرتها تعود على قومٍ قد وحدَهم الأنتماء إلى هذا الوطن وجمعتهُم مسؤولية الحفاظّ عليه.

([1]) الحلق: جمع الحلقة، وحلقة القوم : مكان اجتماعهم وتحلقهم. (وحلق) بدل من (بيوتنا). والحلول: جمع حال، وهم القوم المقيمون. والاطناب: جمع الطنُب، وهو حبل الخباء والسرادق ونحوها. وثوابت الأطناب: كناية عن العز والمنعة والشرف. (ابن مقبل، 1962، 4)

([2]) الآطام: الحصون، واحدها أُطم. والسيوح: جمع السيح، وهو الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض، يريد الأنهار والروافد: يريد بها روافد الانهار. والقباب: يريد بها قباب الآطام. (ابن مقبل، 1962، 4)

وقد أشعر بذلك فخره الواضح وهو يخاطب ((كبيشة)) التي ربما رمزت لكل محب يريدُ أن يسأل الشاعر عن عزّهِ وفخرّهُ، فيعطي جمالية للقول في ذلك بقوله: (في كل ذلك) للإشعار بان التفصيل في ذلك يطول ويطول، وأن ما ذكره هنا كان على وجه الاجمال. ثم يأتي الشاعر بـ(يا) النداء وهي لنداء البعيد؛ ليشعر السامع بأن ((كبيشة)) وما ترمزُ إليه تقفّ في مكان بعيد بعداً معنوياً عن تفهم ما يفخر به الشاعر، وتأتي لفظة (بيوتنا) بما تدل عليه كلمة (بيت) من السكن والوطن والاستقرار(مصطفى، وآخرون، 68)، المقترنة بـ((نا)) المتكلمين التي جمعت الجميع على اختلافهم وانتشارهم في هذا الوطن الواسع في ضَمير متصل واحد، يشيّ بالفخر والاعتزاز.

ويُتبعُ ذلك بما يكني به عن رسوخ هذا الوطن، المرتبط بهذَا المكان، والذي يحملُ معه كل العناصر اللازمة لقيامه، ضاربة جذورهُ في العمق، مرتبطة ومترابطةٌ، فهي ثابتة راسخة (ثوابت الأطناب)، كما أنها لأمانها ولما تتمتع به من فضاء للحرية فهي((حلق الحلول)) قد أصبحت مقصداً يجتمع فيه كل من ينشدُ العَيش الكَريم.

ولم يقف ابن مقبل بالامر عند هذا الحد، فقد أخذ يزيدُ في الإشارة إلى عزةّ وطنه وفخره به، وأنهُ وطن يقف شامخا، يطاول بلاداً وحضارات كانت مثارَ إعجاب العالم، بل إنه يستطيع أن يوظف ما تنتجه تلك الحضارات وتفخر به من ((آطام طين – روافد وقباب)) معرّضاً بذلك ببلاد فارس وحضارتها.

ومن أشكال الحرية عند الشاعر ذكر الأماكن التي تتنقل فيها الظعائن، يقول: (ابن مقبل، 1962، 239– 240)"

تَـأَمَّلْ خَلِيـلي هَـلْ تَـرَى مِنْ ظَعَائِن تَحَـمَّلْنَ بِـالْـعَـلْيَـاءِ فَـوْقَ إِطَـانِ[1]

فقَـــالَ: أَرَاهَا بَـيْنَ تِـبْرَاكَ مَـوْهِنـاً وطِـلْحَـامَ إِذْ عِـلْمُ الـبلَادِ هَدَانيِ

وقَـدْ أَفْضَـلَتْ عَيْـنيِ عَـلَى عَـيْـنِـهِ وقَـطَّعَ إِلْحَـاقُ الْحُـدَاةِ قـــرَانيِ"

وعند بيان معنى كلمة الظعائنّ واطان وطلحان، فهي مفردات بدوية، فيعدد الشاعر المواضع التي تنقلت من خلالها الظعائن، فهو يتتبع هذه الأماكن إلا أن يحل الظلام فلا يراهم، وهذه الظعائن تأخذ فترات من الاستراحة ، ومن ثم تكمل مسيرها. فالبادية تمده بالحرية من خلال الأرض الواسعة الممتدة التي يعيش فيها. فيفخر بهذه البادية وأهلها، يقول: (ابن مقبل، 1962، 178– 179)"

([1]) "الظعائنّ : جمع ظعينة، وهي المرأة في الهُودَج حين الارتحال. وتحملن: بمعنى انطلقن وذهبنّ. ولفظة العلياء وإطان: موضعان ، ومعنى موهناً: أي ليلاً، يعني بعد هزيع من الليل. وتبراك: موضع في ديار بني فقعس وطلحام، بالحاء والخاء: موضع ، أفضلت عيني: أي رأيت الظعائن الراحلة أحسن مما رأى خليلي. وإلحاق الحداة: إسراعهم بالحداء والسوق، يلحقون بعضه ببعض. وقراني: أي صلتي بهم بالنظر إليهم. يقول: مضى الحداة بالظعائن سريعاً فلم أعد أراهم " (ابن مقبل، 1962، 239– 240).

صحـا القَلْبُ عنْ أَهْلِ الــرِّكاءِ وفَـاتَهُ عَــلَى مَـأْسَلٍ خِلَّانُـهُ وحَـلَائـِلهْ[1]

أَلَا رُبَّ عَيْـشٍ صَـالِـحٍ قَـــدْ لَقِيتُـــهُ بِـضَيْقِ الـرِّكَـاءِ إِذْ بِهِ مَنْ نُواصِلُهْ

هُمُ التَّـابِعُـونَ الحَقَّ مِنْ عِنْـدِ أَصْــلِهِ بِـأَحْـلَامِهِمْ حَتَّى تُصَابَ مَـفَاصِلُهْ

هُمُ الضَّــارِبُـونَ اليَقْـدُمِيَّـةَ تَعْــتَــرِي بِمَا في الجُفُونِ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ"

فهو يمتدح أهل الركاء ويسترجع ذكرياته فها. فذكر الأماكن كثيرة في شعره ومتعددة فيذكر هذه الاماكن الكثيرة والواسعة ليؤكد معاني الحرية البدوية في شعره.

ويصف بيوتهم، يقول: (ابن مقبل، 1962، 57)

لنَــا حُجُرَاتٌ تَنْتَهِي الحَـاجُ عنْـدَهَـا وصهْبٌ عَلَى أَثْبَاجِهَا المَيْسُ طُلَّحُ[2]

فيذكر الاماكن ويصفها ويفخر بها، ولهذه الاماكن مكانة كبيرة عنده فهي تمده بالحرية. ومن صور الأماكن يصور الحياة البدوية في شعره وسعتها، فعند هطول الأمطار تمتلئ الأرض بالمياه، قوله :(ابن مقبل، 1962، 180)

فَغَــادَرَ مَـلْحُــوباً تُمَشِّي ضِبَــابُـه عَبَاهيلَ، لَمْ يَتْرُكْ لَهَا المَاءُ مَحْجَرا[3]

---

(1) ومعنى "الركاء: وادٍ بسرة نجد. ومأسل: أسم موضع. والحلائل: جمع حليل وحليلة، وهو بمعنى الجار والصديق, والأحلام: جمع حِلم، بكسر الحاء، وهو العقل والأناة. أما معنى لفظة اليقدمية: مقدمة الخيل في الغارة والحرب. والجفون: جمع جفن، أي جفن السيف، وهو قرابه. وقوله بما في الجفون: أي باالسيوف والصياقل: جمع صقل، وهو الذي يصقل السيوف ويجلوها ويشحذها" (ابن مقبل، 1962، 178-179)

[2] – الحجرات: جمع الحَجْرة، وحجرة القوم: ناحية دارهم. الحاج: الحاجات، واحدها الحاجة. وصهب: أي أبل أصهب. الأثباج: جمع ثبج، وهو وسط الظهر .الميس: شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها. وطلح: جمع طليح، وهو البعير الذي أعياه السفر، فيقول في بيته أن حاجات الناس تنتهي عند بيوتنا، والأثباج: جمع ثَبَج، وهو وسط الظهر... وطلح: جمع طليح وهو البعير الذي أعياه السفر(ابن مقبل، 1962، 57).

[3] – ملحوب: هو وادي متالع في قول الأصمعي، وهو ماء لبني أسد أيضاً. عباهيل: أي مهملة لا حافظ لها، جمع عُبهول أو عِبْال(ابن مقبل، 1962، 180).

فيصف السحاب الذي لم تترك مياهه للضِّباب مدخلاً تأويه، وخص الضب دون غيره للدلالة على غزارة تلك الأمطار وبالغ تأثيرها؛ ذلك أن الضَّبَّ يوصف بالكيس؛ لأنه لا يبني بيته إلا على رابية، خشية السيل، ومع هذا أدركه السيل (الفيفي، 1999، 381).

فابن مقبل لم يكتف بتصوير الأماكن البدوية وما فيها من حياة، وإنما صور لنا أماكن الحياة الحضرية كذلك، فكان على دراية كافية بتلك الحياة وما فيها من صور ومواضع، يقول:(ابن مقبل، 1962، 214)

بِـبَـابِ المَـقَـاوِلِ مِـنْ حِمْـيَرٍ تُـشَـدَّدُ أَعْـضَـادُهُ بِـاللَّبِـنْ[1]

فيصور الشاعر بيوت الحميريين فكانت مبنية بـ(اللَّبِن)، فهو في قوله مفتخراً بالوفاد على ملوكهم ومن ثم مَدحَهم (الفيفي، 1999، 426).

وديار قومه التي يفخر بها ابن مقبل ممتدد وواسعة وعزيزة تمتد مكاناً وتاريخاً ومناخاً وتضاريس من – يذبل– إلى – نجران– ، تؤمن حياة كريمة، ينعَم بها افرادُها الكَثيرون، حيث يغدو هذا الفضاء الواسع مليئاً بهم، ليس بشخوصهم؛ لأنه يستحيل ذلك، إنما بأعمالهم، فتبدو الديار الكبيرة ملأى بهم، لما وفرته لهم هذه الديار من فضاء واسع من الحرية، مكنتهم من القيام بحق هذا الوطن ومن ثم حُقَّ لهم الافتخار به، يقول: (ابن مقبل، 1962، 56–57)الطويل"

بنـو عَـامـرٍ قَوْمـي، ومـنْ يـكُ قـوْمُـهُ كَـقَـوْمِـي يَكُنْ فِـيـهِـمْ لَه مـتّـنَـدِّحُ[2]

هُـمُ مَـلَـؤُوا نَـجْـداً، ومِنْهُمْ عَسَاكِرٌ تَـظَـلُّ بِـهَـا أَرْضُ الـخَـلِـيـفَـةِ تَـدْلَـحُ

وهُـمْ مَـلَكُوا مـا بيْنَ هَـضـبَـةِ يَـذْبُـلٍ ونَجْرَانَ. هَلْ في ذَاكَ مَرْعىً ومَسْرَحُ"

فقومه ((بنو عامر)) الضاربة ثَقافتهم في عُمق البادية يَمدونه بالحُرية، فهو حُر في تَنقله، واختيار المكان الذي يريدهُ. وقد أضاف التوتر الدلالي التي أضْفَته كلمة ((متندّح)) إلى الفخر بفضاء الحرية الواسع التي يتمتع به ابن مقبل من خلال انتمائهُ إلى قبيلتهُ، وذلك في إطار نظام الحياة البدوية الذي يضمن فُسحة في حرية

[1] – المقاول هو : جمع مِقول، وهو الملك من ملوك حمير. وتشدد: أي تبنى. وأعضاده: أي أعضاد الباب. يريد أنه باب بناء كبير. والمعنى أنه يفد إلى الملوك ويمدحهم(ابن مقبل، 1962، 214).

[2] – "متندح: أي سعة وفسحة ومذهب في الأرض واسع عريض. تدلح: أي تنوء بثقلهم لكثرتهم"(ابن مقبل، 1962، 56–57).

أفرادها. وذكر لفظة قوم ومشتقاتها وكررها، ومن ثم كرر الضمير(هم) ، ليؤكدَ على أن قومَه هم الذين يملكون البادية، فحريتهُ معهم في باديته، وفي هذا المعنى يقول الشاعر: (ابن مقبل، 1962، 78) البسيط"

مِنَّا بِبـادِيَـةِ الأَعْـــرَابِ كِـــرْكِـــرَةٌ إِلَى كَـــرَاكِـــرَ بالأَمْـصَارِ والْحَضَرِ[1]"

ومن ثُم فان فضاء الحرية عند الشاعر وقومهُ يَمتد إلى أُفق العيش خارج سُلطة الملوك، بل إنهم أسمى منها، فهم ((كظل السماء)).

يقول: (ابن مقبل، 1962، 65) الطويل"

ولَمْ تَـــرَ حَـــيّـــاً كَـانَ أَكْـــثَرَ قُـــوَّةً وأَطْعَنَ في دِينِ المُـلُوكِ وأَفْسَدَا[2]

نُـصَبْنَـا رِمَـاحَـاً فَـوْقَهَـا جَدُّ عَـامِرٍ كَـظِـلِ السَّمَاءِ كُلَّ أَرْضٍ تَـعَـمَّدَا"

فإن الشاعر كان يتملك خيارَ العيش في الحاضرة لكنهُ فضل البادية التي تمدهُ بالحرية، فلهُ حرية الاختيار كذلك، " فللمكان أبعاد نفسية تؤثر في الذات البشرية إيجاباً وسلباً، وفقاً لما يثيره هذا العنصر من مشاعر وأحاسيس؛ فهو المرآة العاكسة لذات الإنسانية من أفعال وأقوال، اتخذ منه الشاعر ملاذاً للحرية والسكينة عاش فيه، وخلف فيه ذكريات وحوادث، كان يستذكرها كلما عاد ورجع إليه" (بن القريشي، معمري ، 92).

خامساً: ذكر الأديان في شعره:

ان البيئة البدوية تمد الشاعر بحرية كبيرة فيذكر الأديان والثقافات المخُتلفة، فَذكرَ أبياتاً فيها عادات وثَنية عَدها الجاهليون من عباداتهم، يقول: (ابن مقبل، 1962، 82)البسيط"

فِيـهِ مِنَ الأَخْـرَجِ الـمُـرْتَـاعِ قَـرْقَـرَةٌ هَدْرَ الدِّيَافِيِّ وَسْطَ الهَجْمَةِ البُحُرِ[3]"

[1] – "الكركرة: يقال للقوم إذا كانوا كثيراً كركرة، والجمع كراكر، فهو يصف كثرة قومه وانتشارهم في البادية والحواضر"(ابن مقبل، 1962، 78).

[2] – ويقصد "بدين الملوك: طاعتهم وقضاؤهم. يريد أنهم لا يدينون للملوك، ولا ينقادون لحكمهم" (ابن مقبل، 1962، 65)

[3] – الأخرج: "الظليم الذي فيه بياض وسواد: وهو ذكر النعام. والديافي: الجمل الضخم، أو هو الجمل المنسوب إلى دياف". (الفيفي، 1999، 164)

فنجد الشاعر يذكر العادات لدى فئة من بيئته البدوية، يقول الفيروز آبادي في معنى البَحيرَةُ: ((كانوا إذا نُتِجَت الناقة أو الشاة عشَرَةَ أبطن بَحَروها، وتركوها تَرْعى، وحَرَّموا لحمها إذا ماتتْ على نسائهم، وأكلها الرجال، أو التي خليت بلا راعٍ، أو التي إذا نتجت خمسة أبطن والخامس ذكر نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كانت أنثى بحروا أُذُنَها، فكان حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها، فإذا ماتت حلّت للنساء، أو هي ابْنَةُ السائبة، وحكمها حكم أمها، أو هي في الشاء خاصَّةً إذا نتجتْ خمسةَ أبطن بحرتْ، وهي الغزيرة أيضاً، جمعها: بحائِرُ وبحرٌ)).(الفيروز آبادي، 2005، 97).

أراد الشاعر في هذه الصورة التي ذكرت تلك العادة الجاهلية في البَحِيرة، رغم إسلامية القصيدة، أن يصور أمن هذا الأخرج (ذكر النعام) في ذلك المكان البعيد، حتى كأنه الجمل الضخم، وسط (البُحُر) الآمنة من النحر أو الركوب مع أن الأصل في هذا الأخرج الجبن والارتياع (الفيفي، 1999، 164).

وذكر في شعره عادات وثنية مثل (البلية) و(العذارى) و (الكواكب)، فالشاعر ذكرها في شعره ليصف مدى معرفته بها ومحبته بوجودها في باديته. وله إشارة إلى اليهودية يقول: (ابن مقبل، 1962، 146)(البسيط)

فِيهَـا مِـــرَاحٌ إذا مَـالَ الإِرَانُ كَـمَـا نَـجَّى اليَهُوْدِيُّ يَسْتَدْمِي إذا رَعَفَا[1]

وذكر الشاعر في اكثر من موضع أوصاف الديانة النصرانية، فتأثير الديانة النصرانية على العرب في الجاهلية أقوى من تأثير الديانة اليهودية، وفي شعره بعض الصور عن حياة النصارى، لا تنم على عقيدة نصرانية، بل على ما شاهدهُ في بيئته من بعض مظاهر الديانة النصرانية والمجتمع النصراني، كالمَكوك، والنَاقوس، والقرابين، والرُهبَان، والعبادي، وغير هذا من احوال حياتهم وعاداتهم المختلفة (الفيفي، 1999، 173– 174). يقول: (ابن مقبل، 1962، 124) الطويل"

وَرَدْتُ بِـعِيـسٍ قَدْ طَـلَـحْـنَ وفِـتْـيَـةٍ إذَا حَـرَّكَ النَّاقوسَ بِاللَيْلِ زَاجِرُهْ"[2]

فالشاعر يتحدث عن إيرادهُ العيس ليلاً مع بعض الفتية، في الوقت الذي كانَ فيه الناقوس يدقّ، وهو وقت الصَباح (الفيفي، 1999، 174). وذكر الشاعر أبياتاً عن المجوسية، وليس غريباً ان يَذكر المجوسية في شعره ذكراً يدلُ على وجود بعض طقوسها في بيئته البدوية، ذلك أن المجوسية قد عُرفت في بعض أحياء العرب الجاهلية، ومن ذلك يذكر ضوء نار أظعانّ نازحة لاحت له ((ببرقة الأمهار)) (الفيفي، 176،1999– 178)، يقول: (ابن مقبل، 1962، 120– 121) الوافر"

---

[1] – المراح هو: المَرح والنشاط. والإران: البطر والنشاط"(ابن مقبل، 1962، 146)

[2] – "العيس: هو الأبل البيض مع شقرة، طلح البعير: إذا أعيا وجهده السفر وأهزله. زاجره: الذي يدق الناقوس، كأنه يزجره أي يحثه" (ابن مقبل، 1962، 124).

وَلَاحَ بِبُـــرْقَةِ الأَمْـهَـــارِ مِنْـهَـــا بِعَيْنِـــكَ نَـــازِحٌ مِنْ ضَـوْءِ نَـارِ[1]

إِذَا مَـــا قُلْـــتُ زَهَّـــتْـــهَـــا عِصـــيٌّ عِصـــيُّ الـزَّنْدِ والـعُصُفُ السِّوَارِي

لِـــمُـــشْتَـــاقٍ، يُصَـــفِّـقُـهُ وَقُـــودٌ كَنَـارِ مَجُـوسَ فِي الأَجَمِ المُطَارِ"

يقول الفيفي: "فقد أشعلت تلك النار ببرقة الأمهار لتزيد في وقود شوق هذا المشتاق، وعنى بنفسه، فشبه الشوق في ضراوته بنار مجوس أشعلت في أجمة فاستطارت نيرانها. ويستدل من هذا على أن تلك كانت عادة المجوس، كما شاهدها الشاعر" (الفيفي، 1999، 178). نجد التكرار موجودا في البيت الثاني، ((عصي)) فكرر الشاعر الكلمة نفسها وبالصيغَة نفسُها "فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين، ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار"،(السيد، 1986، 136) فيعطي التكرار نـغماً موسيقاً للقصيدة.

خاتمة:

بعد ان دخلنا في اعماق الحرية في شعر ابن مقبل من خلال تعريف موجز للشاعر وبيان لفظة الحرية بوصفها رمزا، وبيان الحرية في شعر الشاعر من خلال امتداد المكان وذكر الأديان لديه. تبينت لنا أهم نتائج هذا البحث واستقرت على :

- يعد ابن مقبل من الشعراء المجيدين، حيث جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء الجاهليين، وعمر ابن مقبل طويلاً، وبلغ مئة وعشرين سنة.
- وفي ضوء دراسة الجزئيات السابقة، تبين أن الشاعر كان متمسك بالحياة البدوية التي تمده بالحرية، فعبر عن هذه الحرية من خلال نصوص شعرية جميلة، ومنها حديثه عن المكان الواسع الممتد، وحريته في ذكر الأديان ووصفها في شعره.

[1] – عند بيان معنى "رقة الأمهار: اسم موضع، وبرقة: ما كان من الأرض رملاً وحجارة مختلطة. نازح: أي بعيد" ومعنى زهتها: أي حركتها ورفعتها، يريد النار، الرند: شجر الآس. العصف: جمع عاصف، صفة للريح. السواري: جمع سارية، وهي الريح تهب ليلاً، ويصفقه: أي يزيده فيصطفق ويضطرب. الأجم: الشجر الكثير الملتف، وهو الغاب. المطار: الذي اشتعلت فيه النار وانتشرت"(ابن مقبل، 1962، 120– 121)

- شعر ابن مقبل يحتوي على احالات واضحة للحرية ومضامينها حيث وظف امتداد المكان المفتوح، معتمداً على المعاني والالفاظ البدوية.
- يعد شعر ابن مقبل من الاشعار الغنية بالصور البلاغية والاساليب الفنية التقليدية، فقد أثر في الشعر العربي بشكل عام والشعر البدوي بشكل خاص
- عكس شعره موقفه من الأديان وتعددها في عصره، اذ يظهر في قصائده ذكر هذه الأديان صراحة دون ترميز، مما أضفى طابعاً واقعياً على شعره البدوي الحر.
- وظف التراث البدوي العربي، واستخراج معانيه وعبره واخلاقياته.

قائمة المراجع :

- الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1986.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1998.
- أبن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- عبد الأمير، نعمة عبد، ابن مقبل حياته وشعره، رسالة مَاجستير، كلية الآداب/ جامعة البصرة، 1985.
- سزكين، "فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، د.ط"،1991.
- العسقلاني،" أحمد بن علي بن حجر، الأصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1"، 1962.
- القيرواني، الحسن بن رشق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981.
- الفيفي، عبد الله، شعر ابن مقبل "قلق الخضرمة بين الجاهلي والاسلامي"، منشورات نادي جازان الأدبي، ط1، 1999.
- الهلالي، "ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1"، 1951.
- أبو شهاب،" منى نبيه محمد، مشكلة الحرية في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، كلية الآداب| جامعة آل البيت"، 2004.
- الجوهري،" اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت"، ط4، 978م.
- أبو الحسين، "أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط"، 1979.
- ابراهيم مصطفى،" وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، الاسكندرية، د.ط، د.ت."
- العروي،" عبدالله، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط5"، 2012.
- ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، د.ط، 1962.
- بن لقريشي، "عمار، ومعمري فواز، دلالة المكان في الشعر الجاهلي، بحث منشور في حوليات الآداب واللغات جامعة محمد بو ضياف، مسيلة، المجلد4، العدد2".

❖ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005.
❖ علي السيد، عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1986.

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

❖ Al-Kalbi, Hisham ibn Muhammad ibn al-Sa'ib, The Collection of Genealogies, edited by : Naji Hassan, Alam al-Kutub, Beirut, 1st ed., 1986.
❖ "Al-Baghdadi, Abdul Qadir ibn Umar, The Treasury of Literature and the Core of the Arabic Language, edited by: Abdul Salam Harun, Al-Khanji Library", Cairo, 4th ed., 1998.
❖ Ibn Manzur, Jamal al-Din, The Arabic Language, Dar Sadir, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.
❖ Abdul Amir, Ni'mah Abdul, Ibn Muqbil: His Life and Poetry, MA Thesis, College of Arts, University of Basra, 1985.
❖ Sezgin, Fuad, History of Arab Heritage, translated by : Mahmoud Fahmy Hijazi, Imam Muhammad ibn Saud University, Riyadh, 1st ed., 1991.
❖ Al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Hajar, Al-Isaba fi Tamyiz al-Sahaba, edited by Adel Ahmad Abd al-Mawjud and Ali Muhammad Mu'awwad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed., 1962 .
❖ Al- Qayrawani, al-Hasan ibn Rashq al-Qayrawani al-Azdi, Al-Umda fi Mahasin al-Shi'r wa-Adabuh wa-Naqduh, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Jeel, Beirut, 5th ed., 1981.
❖ Al-Fifi, Abdullah, The Poetry of Ibn Muqbil (The Anxiety of the Khadrama Between the Pre-Islamic and Islamic Eras), Jazan Literary Club Publications, 1st ed., 1999 .
❖ Al-Hilali, The Diwan of Hamid bin Thawr Al-Hilali, Edited by: Abdul Aziz Al-Maymani, Egyptian Book House, Cairo, 1st ed., 1951.

❖ Abu Shahab, Mona Nabih Muhammad, The Problem of Freedom in Pre-Islamic Poetry, Master's Thesis, Faculty of Arts, Al al-Bayt University, 2004.

❖ " Al-Jawhari, Ismail bin Hammad, Al-Sihah: The Crown of Language and the Correctness of Arabic, edited by Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut", 4th ed., 1978 CE.

❖ Abu al-Husayn, Ahmad ibn Faris, Dictionary of Language Standards, edited by: Abd al-Salam Harun, Dar al-Fikr, Beirut, n.d., 1979.

❖ Ibrahim Mustafa, et al., The Intermediate Dictionary, Arabic Language Academy in Cairo, Dar al-Da'wa, Alexandria, n.d., n.d.

❖ Al-Aroui, Abdullah, The Concept of Freedom, Arab Cultural Center, Casablanca, 5th ed., 2012.

❖ Ibn Muqbil, Diwan Ibn Muqbil, edited by: Azza Hassan, Dar Al-Sharq Al-Arabi, Beirut, n.d., 1962.

❖ Ben Laqrishi, Ammar, and Maamri Fawaz, The Meaning of Place in Pre-Islamic Poetry, a study published in the Annals of Literature and Languages, Mohamed Boudiaf University, M'Sila, Volume 4, Issue 2.

❖ Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qub, Al-Qamus Al-Muhit, edited by the Heritage Research Office, Al-Risala Foundation, Beirut, 8th ed., 2005.

❖ Ali al-Sayyid, Izz al-Din, Repetition between Stimulus and Influence, Alam al-Kutub, Cairo, 2nd ed., 1986.